فضل صيام الست من شوال

الحمد لله وكفي وصلاة وسلاما على عباده الذين اصطفى..... أما بعد؛؛؛؛

انتهى رمضان بأيامه ولياليه؛ ولكن العبادات التي كانت فيه لم تنته بعد؛ فالصوم بالبر موصول؛ والقرآن مقروء ومسطور ؛ وقيام الليل مع الفجر مشهود ؛ والعبد لربه شكور؛ والرب على العباد في كل وقت رحيم غفور.

إن تشريع صيام الست من شوال بعد انتهاء رمضان؛ ومعاودة الصيام مرة أخرى فيه فوائد وفضائل عديدة تتمثل فيما يلي-:

أولاً: أن صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كله؛ وإنما كان صيام رمضان واتباعه بست من شوال يعدل صيام الدهر لأن الحسنة بعشر أمثالها؛ وقد جاء ذلك مفسراً من حديث ثوبان رضي الله عنه؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « صِيَامُ شَهْرٍ بِعَشَرَةِ أَشْهُرٍ ، وَسِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَهُنَّ بِشَهْرَيْنِ فَذَلِكَ تَمَامُ سَنَةٍ ». يَعْنِى شَهْرَ رَمَضَانَ وَسِتَّةَ أَيَّامٍ بَعْدَهُ. (أحمد وابن حبان والنسائي)؛ وقال الإمام أحمد: ليس في حديث الباب أصح منه؛ ولا فرق في ذلك بين أن يكون شهر رمضان ثلاثين أو تسعا وعشرين؛ وعلى هذا حمل بعضهم قول النبي صلى الله عليه وسلم " شَهْرَا عِيدٍ لَا يَنْقُصَانِ رَمَضَانُ وَذُو الْحِجَّةِ " (متفق عليه) فالمراد كمال آخره سواء كان ثلاثين أو تسعا وعشرين؛ وأنه اتبع بستة أيام من شوال فإنه يعدل صيام الدهر على كل حال. وكره إسحاق ابن راهويه أن يقال لشهر رمضان: أنه ناقص وإن كان تسعا وعشرين لهذا المعنى.

ثانياً: أن الست من شوال نافلة وسنة بعدية لرمضان؛ كما أن شهر شعبان سُنَّة قبلية ونافلة لرمضان، وأفضل التطوع – كما قال الفقهاء – ما كان قريباً من رمضان قبله وبعده، وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها وهي تكملة لنقص الفرائض ، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده ، فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وبعده أفضل من صيام ما بَعُد عنه.

ولما كان صوم رمضان لا بد أن يقع فيه تقصير وتفريط, وهضم من حقه وواجبه؛ ندب إلى صوم شعبان وستة أيام من شوال, جابرة له, ومسددة لخلل الذي يقع فيه، فجرى صيام هذه الأيام مجرى سنن الصلوات التي قبلها وبعدها جابرة ومكملة.

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ " إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلَاتِهِ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلُ بِهِ مَا نَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ"(الترمذي)

فلو صلينا الظهر – مثلاً – فإن الدرجة التي يحصل عليها كل واحد منا تختلف عن الآخر تماماً، وهذا راجع إلى خشية العبد وتقواه لربه، والنسبة المئوية الناقصة تكمل من النوافل ، ورسولنا–صلى الله عليه وسلم– يصور ذلك فيقول: "إنَّ العبدَ لَيصلِّي الصَّلاةَ ما يُكتُبُ لَهُ منْها إلَّا عُشرُها، تُسعُها، ثمنُها، سُبعُها، سُدسُها، خمسُها، ربعُها، ثلثُها نصفُها"(صحيح

الترغيب والترهيب ، الألباني)؛ وكما أن زكاة الفطر شرعت طهرة للصائم من اللغو والرفث ؛ فكذلك صيام الست شرع جبراً لما وقع في رمضان من نقصٍ أو خللٍ ؛ وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول: من لم يجد ما يتصدق به فليصم؛ يعني من لم يجد ما يخرجه صدقة الفطر في آخر رمضان فليصم بعد الفطر فإن الصيام يقوم مقام الإطعام في التكفير للسيئات؛ كما يقوم مقامه في كفارات الإيمان وغيرها من الكفارات؛ في مثل كفارات القتل والوطء في رمضان والظهار.

ثالثاً: أن صيام الست من شوال شكرٌ لله عز وجل على نعمة صيام رمضان ومغفرة الذنوب؛ فصيام رمضان يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب كما جاء في كتب السنة؛ وأن الصائمين لرمضان يوفون أجورهم في يوم الفطر وهو يوم الجوائز؛ فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكراً لهذه النعمة؛ فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب ؛ لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تتورم قدماه ؛ فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلَاهُ؛ قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا !!"(متفق عليه)؛ وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بشكر نعمة صيام رمضان بإظهار ذكره وغير ذلك من أنواع شكره فقال: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: 185] ؛ فمن جملة شكر العبد لربه على توقيفه لصيام رمضان وإعانته عليه ومغفرة ذنوبه أن يصوم له شكراً عقب ذلك؛ وكان بعض السلف إذا وفق لقيام ليلة من الليالي أصبح في نهاره صائما ويجعل

صيامه شكرا للتوفيق للقيام. وكان وهب بن الورد يُسأل عن ثواب شيء من الأعمال كالطواف ونحوه؟ فيقول: لا تسألوا عن ثوابه ولكن اسألوا ما الذي على من وفق لهذا العمل من الشكر للتوفيق والإعانة عليه!!

إذا أنت لم تزدد على كل نعمة ... لموليكها شكرا فلست بشاكر

فكل نعمة على العبد من الله في دين أو دنيا يُحتاج إلى شكر عليها؛ ثم للتوفيق للشكر عليها نعمة أخرى تحتاج إلى شكر ثان؛ ثم التوفيق للشكر الثاني نعمة أخرى يحتاج إلى شكر آخر؛ وهكذا أبدًا فلا يقدر العبد على القيام بشكر النعم!!

فأما مقابلة نعمة التوفيق لصيام شهر رمضان بارتكاب المعاصي بعده فهو من فعل من بدل نعمة الله كفراً؛ فإن كان قد عزم في صيامه على معاودة المعاصي بعد انقضاء الصيام فصيامه عليه مردود وباب الرحمة في وجهه مسدود؛ قال يحيي بن معاذ: " من استغفر بلسانه وقلبه على المعصية معقود، وعزمه أن يرجع إلى الذنب ويعود، فعمله عليه مردود، وباب القبول في وجهه مسدود ". قال كعب: من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر من رمضان لم يعص الله دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب؛ ومن صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر عصى ربه فصيامه عليه مردود.

رابعاً: أن الأعمال التي كان العبد يتقرب بها إلى ربه في شهر رمضان لا تنقطع بانقضاء رمضان بل هي باقية بعد انقضائه ما دام العبد حيا؛ وقد جاء في الأثر: أن الصائم بعد رمضان كالكار بعد الفار؛ يعني: كالذي يفر من القتال في سبيل الله ثم يعود إليه؛ وذلك لأن كثيراً من الناس يفرح بانقضاء شهر رمضان لاستثقال الصيام وملله وطوله عليه؛ ومن كان كذلك

فلا يكاد يعود إلى الصيام سريعاً؛ فالعائد إلى الصيام بعد فطره يوم الفطر؛ يدل عوده على رغبته في الصيام وأنه لم يمله ولم يستثقله.

خامساً: اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في المداومة والثبات على العمل الصالح؛ فعن عائشة– رضي الله عنها – قالت: "كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إذا عمل عملاً أثبته." (رواه مسلم)، وأحب الأعمال إلى الله وإلى رسوله أدومها وإن قلَّت، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: " أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل."(متفق عليه)، وقَالَت عَائِشَةَ – رضي الله عنها –: " كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً "(البخاري ومسلم.)، فما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل، وما دام العمل لله فإن الله – جل وعلا – سيقبله برحمته، وقيل لبشر: إن قوما يتعبدون ويجتهدون في رمضان فقال: بئس القوم لا يعرفون لله حقا إلا في شهر رمضان؛ إن الصالح الذي يتعبد ويجتهد السنة كلها. فعمل المؤمن لا ينقضي حتى يأتيه أجله قال الحسن: إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت ثم قرأ: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر:99].

وبشرى لمن داوم على عمل صالح، ثم انقطع عنه بسبب مرض أو سفر أو نوم كتب له أجر ذلك العمل. قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : " إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً "(رواه البخاري)، وهذا في حق من كان يعمل طاعة فحصل له ما يمنعه منها، وكانت نيته أن يداوم عليها. وقال –صلى الله عليه وسلم–:" ما من امرئ تكون له صلاة بليل فغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر صلاته، وكان نومه صدقة عليه." (أخرجه النسائي.)

سادساً: أن معاودة الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صوم رمضان؛ فإن الله إذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده؛ كما قال بعضهم: ثواب الحسنة الحسنة بعدها؛ فمن عمل حسنة ثم اتبعها بعد بحسنة كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى؛ كما أن من عمل حسنة ثم اتبعها بسيئة كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها.

ما أحسن الحسنة بعد السيئة تمحوها؛ وأحسن منها بعد الحسنة تتلوها؛ وما أقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها وتعفوها؛ ذنب واحد بعد التوبة أقبح من سبعين ذنباً قبلها؛ النكسة أصعب من الضعفة وربما أهلكت؛ سلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات وتعوذوا به من تقلب القلوب ومن الحور بعد الكور؛ وما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة؛ وأوحش منه فقر الطمع بعد غنى القناعة؛ ارحموا عزيز قوم بالمعاصي ذل وغني قوم بالذنوب افتقر.

يا شبان التوبة لا ترجعوا إلى ارتضاع ثدي الهوى من بعد الفطام فالرضاع إنما يصلح للأطفال لا للرجال؛ ولكن لا بد من الصبر على مرارة الفطام فإن صبرتم عُوضتم عن لذة الهوى بحلاوة الإيمان في القلوب؛ من ترك شيئا لله عوضه الله خيراً منه: {إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ} [الأنفال: 70].

رزقنا الله وإياكم الصبر والقناعة؛ والثبات والدوام على العبادة والطاعة؛؛؛؛؛

كتبه / خادم الدعوة الإسلامية د / خالد بدير بدوي